BiladAlrafidain Journal of Humanities and Social Science Vol. 7, No. 4 **ISSN: 2788-6026**
Doi: 10.54720/bajhss/2025.070404 **Pages: 31-38**

جماليات الخاطرة في فيض الخاطر لأحمد أمين

م. م. وعد ستار ناصر
كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة ديالى، ديالى، 32001،العراق.
waid.hum.py@uodiyala.edu.iq

الملخص
مثلت الخاطرة في فيض الخاطر لأحمد أمين نوع أدبي حديث، حيث التعبير البليغ الذي يحمل سمات وخصائص مميزة، وضعتها محل اهتمام بعض الدارسين بعد حياة أحمد أمين؛ فالخاطرة لا تمتلك جذراً تراثياً يضعها ضمن الأنواع الأدبية التي شهدها التأريخ الأدبي العربي، ولكنها جزءا مهما من الحركة الحديثة للتعبير الأدبي المعاصر، وإن انفصال الخاطرة عن القواعد والأوزان العتيدة التي كبلت الأنواع الأدبية يضعها ضمن حركة المعرفة الأدبية المعاصرة التي جعلت من الخيال والذاتية واللغة مرتكزات تقوم عليها. وتوقف هذا البحث عند جماليات الخاطرة من حيث هي فن نثري حديث، لها خصائصها، وأنواعها، وأثرها في الأدب العربي المعاصر، وبيان الفرق بينها وبين المقالة بوصفهما نوعين متداخلين، وتفاعل المظاهر الشكلية للخاطرة كاللغة والبلاغة، وكذلك الأثر الموسيقى والعاطفي في المبحث الأول، أما المبحث الثاني: فقد ارتبط بأثر الخاطرة المعرفي ودورها في دفع عجلة الوعي الأدبي.
الكلمات المفتاحية: الخاطرة، أحمد أمين، الذاتية، النثر، فيض الخاطر.

The Aesthetics of the Prose Reflection in Fayd al-Khatir by Ahmad Amin

Asst. Lect. Waad Sattar Nasser
College of Education for Humanities, University of Diyala, Diyala, 32001, Iraq
waid.hum.py@uodiyala.edu.iq

Abstract
The literary form of prose reflection (Fayed Al-khatir by Ahmad Amin) represents a modern genre characterized by eloquent expression and distinctive stylistic features. Although the khatira lacks a firmly established place in the classical Arabic literary tradition, it has garnered scholarly attention in the post-Amin era due to its significance in the evolution of contemporary literary expression. Its departure from traditional rules and classical poetic meters aligns it with the aesthetics of modern literary thought, in which imagination، subjectivity, and language are central pillars. This study explores the aesthetic framework of the khatira as a modern prose art form by examining its defining features، typologies, and impact on contemporary Arabic literature. The study also clarifies the distinctions between the khatira and the essay، given the frequent overlap between the two forms. The first section analyzes formal elements such as linguistic style, rhetorical techniques، and the emotional and musical dimensions of the khatira. The second section focuses on its intellectual significance and its role in fostering literary consciousness and critical awareness.
Keywords: Khatira, Ahmad Amin, literary subjectivity, prose, Fayd al-Khatir.

BiladAlrafidain Journal of Humanities and Social Science Vol. 7, No. 4 ISSN: 2788-6026
Doi: 10.54720/bajhss/2025.070404 Pages: 31-38

المقدمة

تتجلى الخاطرة بوصفها فناً جديداً يكاد يكون حديثا يشوبه كثير من الغموض، كون هذا الفن ما يزال حديث التجربة، و قد انعكس هذا بدوره على قلة المصادر النقدية التي تناولت هذا الفن، ومهما يكن فهي تعبر عن فكرة عارضة طارئة لا تتحمل محاولات العرض الشامل والتعبيرات المنطقية، نظرا لتخلقها في إطار ذاتي، ولحظة من لحظات التأمل العاطفي التي تنتاب المبدع فهي عادة ما تبرز بمواجهة الذات الإنسانية المبدعة لموقف من مواقف الحياة المختلفة في هيئة رؤية فردية ذاتية قابلة للرد والتحليل، فهي محكومة بإطار المشاعر الشخصية بطريقة مختصرة ومكثفة.

أما الحديث عن أحمد أمين١٢٩٥ - ١٣٧٣ هـ = ١٨٧٨ - ١٩٥٤ م، هوابن الشيخ إبراهيم الطباخ: عالم في الأدب، غزير الاطلاع في التاريخ، من كبار الكتاب، اشتهر باسمه (أحمد أمين)، وشاعت نسبته إلى (الطباخ)، مولده ووفاته في القاهرة، فقد شهدت الساحة الأدبية إبداع هذا الكاتب في محافل متنوعة، والشواهد الأدبية دالة على نضج تجربته الأدبية، ومن أعماله: إشرافه على (لجنة التأليف والترجمة والنشر) مدة ثلاثين سنة، وكان رئيسا لها، وبلغت مقالاته مبلغا في المجلات والصحف، ولا سيّما مجلتي (الرسالة) و (الثقافة) بعشرة مجلدات، جمعها في كتابه (فيض الخاطر)، وقد ألف الكثير من المطبوعات منها: (فجر الإسلام) و(ضحى الإسلام) و (ظهر الإسلام)، و(يوم الإسلام)، و(النقد الأدبي)، و(زعماء الإصلاح في العصر الحديث)، و(إلى ولدي)، و (حياتي)، و(قاموس العادات)، و(الصعلكة والفتوة في الإسلام)، و(مبادئ الفلسفة)[1]، إذ أسهمت مؤلفاته حضورا واسعا في الساحة الأدبية لما لها من أثر كبير على مستوى الإنتاج، ذلك وله الدور الرائد في توظيف معالم الخاطرة الأدبية لتكون فنا أدبيا قائما بذاته يجمع بين القول والكتابة.

وقد نال كتابه (فيض الخاطر) حضا من الشهرة والانتشار في العصر الحديث، من حيث هو مجموعة من المقالات، والخواطر التي تجمع بين الأدب، والثقافة، والتاريخ، والفلسفة، ويتميز بأسلوب جميل وسلس بطريقة نثرية تتخللها مقطوعات شعرية منتخبة من أشعار القدماء أو من شعراء معاصرين للكاتب، بحيث يجعل القارئ يستمتع بموضوعاته الذاتية أيّما استمتاع.

أولاً: مشكلة البحث

على الرغم من أن الأثر الأدبي الواضح الذي تركه أحمد أمين في كتابه فيض الخاطر، إلا أن نص الخاطرة لم يحظَ بالدراسة الجمالية الكافية، ولم تُسلَّط الأضواء على الخصائص الأسلوبية، والتعبيرية التي تميّز بها، هذا ما يقود إلى السؤال التالي:

- ما أبرز السمات الجمالية لفن الخاطرة في فيض الخاطر لأحمد أمين؟

ثانياً: أهمية البحث

تتجلّى أهمية هذا البحث في تسليط الضوء على الجانب الأدبي الغني في أعمال أحمد أمين، وهو فن (الخاطرة)، كما تكمن الأهمية في إبراز القيم الجمالية والفنية في هذا النوع الأدبي، الذي يجمع بين ذاتية التعبير وعمق الفكرة، ويشكّل مرآة للثقافة والوجدان العربي في زمن النهضة.

ثالثاً: أهداف البحث

يسعى هذا البحث إلى:-

1. تحليل الخصائص الفنية والجمالية للخاطرة في فيض الخاطر.
2. إبراز الأساليب التعبيرية واللغوية التي استخدمها أحمد أمين.
3. الكشف عن الأبعاد الفكرية والوجدانية في النصوص الخاطريّة.

رابعاً: حدود البحث

يقتصر البحث على دراسة نماذج من الخواطر الواردة في كتاب فيض الخاطر لأحمد أمين (الجزء التاسع) من حيث الجماليات والأسلوب.

خامساً: منهجية البحث

اهتدى هذا البحث بفن الخاطرة الذي يبدو أنه حديث العهد، ولعل هذا الاهتمام يعود إلى اتساع دراسة الأنواع الأدبية وتطورها، إذ استفاد من خلفيتها المنهجية في توظيف أساليب متعددة لتحليل النصوص تحليلا نصيا، للكشف عن القيم التعبيرية والأدبية في نصوص الخاطرة، ذلك من خلال تحليل عدد من النماذج المختارة من كتاب فيض الخاطر.

سادساً: محتوى البحث

نحاول في هذا البحث التعرف على الخاطرة من حيث هي فن نثري حديث، و ذلك خصائصها وأنواعها وأثرها في الأدب العربي المعاصر، ونركز على الفرق بين الخاطرة والمقالة بوصفهما نوعين متداخلين، ثم المظاهر الشكلية للخاطرة كاللغة، والبلاغة، وكذلك الأثر الموسيقى والعاطفي كما سيتم التطرق إلى هذه الجوانب في المبحث الأول، أما المبحث الثاني: فسيتناول أثر الخاطرة الجمالي والمعرفي، ودورها في دفع عجلة الوعي الأدبي. وقد جاء هذا البحث ليثري جملة من الجهود السابقة اهتمت بدراسة الخاطرة:-

1- التناص الأجناسي في فيض الخاطر لأحمد أمين دراسة لأبرز الظواهر، والتأثيرات الجمالية[1].

2- أدب المقالة عند أحمد أمين في كتابه (فيض الخاطر)[2].

تمهيد نظري

لقد أثرت التغييرات السريعة والكبيرة التي شهدتها الحياة بشكل عام على الأدب حتى تنوعت معها الأنواع الأدبية وخاصة النثرية، لاسيما المجال الذي شهدته الرواية بوصفها حاملة لواء النثر في الساحة الأدبية وكان من بين الأنواع الأدبية التي تطورت عن المقالة هي الكتابات التي شهدتها الخاطرة بوصفها نوعا جديدا في التعبير الأدبي باعتبارها "قطعة قصيرة من الكتابة النثرية الحديثة يلمح الكاتب من خلالها إلى فكرة غامضة واحدة رسخت في ذهنه دون أن منحتها فرصة النضج الكافي أو فكرة فهي لذلك أبعد ما تكون عن التفكير الشمولي المنطقي أو التحليل العميق [3].

ويبدو أن الخاطرة لم تلق أهمية كبيرة يمكنها أن تضاهي الأنواع الأخرى من الكتابات النثرية؛ إلا أن هذا لا يمكن أن يجعلها غير ذات أهمية إذا ما توقفنا عند خصائصها الأدبية إذ ارتبطت "نشأتها بالصحافة في مختلف مناهجها الأدبية والثقافية، والاجتماعية، والسياسية، واستقرت أساليبها على أيدي كبار الأدباء [4]، ومن هنا يمكن أن ندرك قيمه هذا الفن بوصفه التواصل؛ حيث لا يخفى الأثر العاطفي الذي جعل منها وسيلة للتواصل مع الآخرين، وعن طريق الشعور بما يمر به المجتمع من مشكلات اجتماعية كثيرة يسعى الجميع إلى إيجاد الحلول لها.

ولم تكن الخاطرة في بداية الأمر نوعا أدبيا مستقلا بذاته؛ وإنما تطورت على نحو متدرج، ومن ثم أننا لا نجد لها أثرا أدبيا يجعلها ضمن الأنواع التراثية سوى جذورها اللغوية التي أعلنت عنها المعاجم اللغوية بمعنى خطر: الخاطر: ما يخطر في القلب من تدبير أو أمر [5]، وهذا قريب مما جاء من اصطلاحات الخاطرة في شكلها الحديث فالكاتب يقصد منها حضور فكرة ذهنية سريعة طارئة بشعور ذاتي غير مهيأ، ومقيد بتقاليد الفنون الأدبية؛ حتى ارتبطت الخاطرة، وتداخلت مع المقالة، والقصة القصيرة فهي تشترك مع هذه الأجناس النثرية بالكثير من الصفات التي جعلتها تتداخل معها[6]، إلى أن جاء العصر الحديث فافرد لها نوعا في مكان وسماها بالخاطرة.

ويمكننا القول أن الأنواع الحديثة في النص النثري يعود لدواع تطور الحياة الأدبية والاجتماعية وانتشار بعض فنون النثر وموضوعاته الأدبية والاجتماعية الحديثة والمعاصرة لانتشار لم يسبق له مثيل[7]، ويبدو أن التفاعل الكبير من قبل رواد النثر العربي كان سببا في تفضيل النثر على الشعر، إلى جانب إحساس هؤلاء الرواد بالأثر المعاصر الذي يستطيع التعبير عن قضايا العصر أكثر من الشعر وأسرع[7] بالإضافة إلى الثورة الأدبية الكبيرة التي دعت إلى الاتصال بالغرب في عصر النهضة، فكانت الترجمة تتماشى مع متطلبات العصر الحديث،

فكانت الصحافة التي نشأت الخاطرة في أحضانها تقدم استجابة كبيرة إلى رغبات هؤلاء الرواد[3]، وكذلك كانت الخاطرة تدور حول موضوعات مهمة من مواضيع الحياة، التي دائما ما نراها تتفاعل حسب أنواعها، هذا ما يعطيها سمة مميزة، وتفرد يضاهي عناصر الأدب العربي. ويتسع نص الخاطرة لاستيعاب أنواع متعددة من التعبير، والأساليب منها النقدية، والسياسية، والاجتماعية، والبلاغية، والفلسفية[4]، وهي استجابة لتلك الموضوعات، والمتطلبات الاجتماعية.

وربما كشفت الفقرات السابقة عن بعض خصائص الخاطرة التي وضعها أحمد أمين ضمن تصنيفه لنص الخاطرة في كتابه (فيض الخاطر)، إذ تتركز جملة من الخصائص لها القدرة على كسب نظر، وسماع المتلقي، حيث "تدور حول فكرة واحدة ذات قدرة على التأثير، والقصر والإيجاز، والبعد عن التحليل العميق، وتتسم بروح الدعابة والسخرية، والتركيز في الأسلوب، والاختصار في التفسير واستعمال نسخة مكثفة[4].

ويمكننا الإشارة إلى أسباب جعلت الخاطرة بوصفها فنا أدبيا يكاد يقترب في أهميته من بقية الفنون كالرواية والقصة وغيرها في مجال النثر العربي، حيث أن الخاطرة لا تعتمد على التحليل المنطقي ولا تسمح بالشمولية المعرفية التي يمكنها الغوص في أعماق النفس البشرية بوصفهم تجمعات إنسانية، ولهذا فهي تتبلور على هيئة رؤية أحادية، تعمل ضمن الفردية، إلا أن الإغراق الذاتي الذي

يميز الخاطرة جعلها تملك الأمل بوصفها أداة فاعلة للتعبير، لأن الذات الإنسانية بدأت تعيش غربة وسط ضجيج الآلآت مما أفقدت شيئا من خاصيتها الذاتية، فالذات تحتاج الأداة النقدية الذاتية الفطرية كما تحتاج المنطق والتحليل، فكانت الخاطرة أقرب إلى الاستغراق في ذات الإبداع وهو يعلق على مادة موضوعية أو هدف يبدي رأيا في موقف علمي، ويمكن لكاتب الخاطرة أن يكتب في كل ما يخطر على باله، فهو يتمثل الخاطرة من أفكار في أي موقف أو موضوع، والخاطرة بذلك هي رأي شخصي[3]، وتترسخ أهميتها كونها تصدر عن ذات مبدعة (الكاتب) لها تجاربها في الواقع أو المشهد الثقافي الأدبي، وعادة ما ترتبط الخاطرة بحساسية الكاتب ومدى تأثره لشؤون الحياة، وهو في هذا الجانب لابد أن يتصف بالذكاء ورهافة الحس وعدم الرضا عن الواقع ممزوجا بشيء من القلق والألم، وعدم الرضا عن الحياة، فتتسم قدرته على التحليل بشيء من السخرية والتحكم فيما يستند بدرجة كبيرة إلى الوعي بقضايا المجتمع، والقدرة على الملاحظة والفطنة الذاتية التي أصبحت جزءا من العملية الخيالية المعرفية[3]، تظهر هنا ميزة كاتب هذا النوع الأدبي بشيء من المميزات المهمة التي يمكن لها أن تجعل هذا النوع الأدبي حاضرا بوصفه فنا أدبيا يرقى أن يكون ضمن الأنواع النثرية الأخرى، وقد يحتاج الكاتب إلى الذكاء والملاحظة ويقظة الوجدان وهذا يتماشى مع الطابع الصحفي العام في الاهتمام بالأشياء الصغيرة السريعة المعمول بها التي من شأنها أن تبلغ الانتباه لدى الكاتب إلى تفصيلات الحياة اليومية الصغيرة والدقيقة والتي منها تبرز الدلالات الكبيرة[8].

ذلك ويبقى الفرق بين الخاطر والمقالة في أنها ليست فكرة ناضجة متبلورة عبر زمن بعيد، لكنها فكرة عارضة طارئة وليست فكرة تعرض كل الوجود، لكنها مجرد لمحة منه[8]، أما من ناحية الشكل فالخاطرة أقصر من المقالة وهي لا تجتاز كثيرا نصف عمود من الصحيفة وعمود من المجلة[4]، وعادة ما تعرض الخاطرة فكرة واحدة عارضة يسخرها الكاتب من ملاحظاته اليومية ثم يعرضها في سطور قليلة دون أن تتاح لها فرصة النضج الكافي والاختلاج في ذهن المبدع، ومن ثم تفتقر إلى الملاحظة والنظرة الشاملة[4].

إن عدم الشمولية، وعدم العمق الذي امتازت به الخاطرة جعلها من الأنواع النثرية التي تفتقر الى معالجة المشكلات الاجتماعية معالجة جذرية وهذا أدى إلى انكماش استقبال هذا النوع الأدبي وعدم انتشاره بين الأوساط الأدبية هذا ما نشهده من خلال تناول بعض الباحثين لهذا النوع الأدبي، منهم حسني محمود في كتابه (فنون النثر العربي) أكد على ندرة وجود دراسات نقدية حول مفهوم الخاطرة إلى درجة العدم، على عكس القصة القصيرة والمقالة بالرغم من كونهما فنين حديثين أيضا، مما تسبب في عدم الاعتراف بهذا النوع من الكتابة من وجهة نظر حسني محمود بوصفه فنا مستقلا قائما بذاته، ومرد هذا إلى طزاجة النوع من الكتابة بخصائصه الحديثة نسبيا، وكذلك يؤكد حسني في عدم وجود دراسة نقدية لهذا النمط أو الفن مستقلا بذاته أو ضمن كتاب[3].

ورغم هذه الندرة في التعاطي مع هذا النوع الأدبي إلى أن هناك رواد قد أدعوا في هذا النوع ومنهم لا على سبيل الحصر: أحمد أمين في (فيض الخاطر)، وأبو أحمد الصاوي 1976، ومحمد شقير، وإسحاق موسى الحسيني 1990، والمطلق عبد الخالق 1937، وتيسير سبول 1973، وعبد الوهاب عزام وآخرون[4].

المبحث الأول

الخصائص الجمالية لخاطرة أحمد أمين

بعد أن عرفنا أن الخاطرة حديثة العهد بوصفها نوعا أدبيا؛ لكنها حظيت باهتمام نخبة من أدباء العرب ومنهم أحمد أمين لا سيما في كتابه (فيض الخاطر)، الذي طغى عليه الطابع المقالي حيث اهتم هذا الأديب بأهم المشكلات التي واجهت المجتمع العربي بشكل عام والمصري بشكل خاص، بحيث جاءت خواطره بوصفها انفعالات ذاتية في لحظة من التأمل، وهذا نوع من التفاعل بين الأديب والواقع، فإن التفاعل الحر بين الأدب والمواقف الاجتماعية من العوامل الأساسية في صناعة الأدب، وإنه سببا وراء تميز كثير من الأعمال الأدبية التي لاقت صدى واسعا عند جمهوره في تلك الفترة فأخذ هذا الأدب مسافة واسعة من الانتشار والتميز جعل له دورا كبيرا في حركة المجتمع ودفع عجلته إلى الأمام[9].

أولا: بلاغة الخاطرة في فيض الخاطر

يتميز أحمد أمين بخصوصية أدبية جعلته محل اهتمام الكتاب، والمثقفين المصريين بعنايته الأسلوب، ووضوح الفكرة التي يطرحها، ويسعي دائما أن يبقي القارئ ليس بعيدا، فهو عادة يخلق صدع ما، وهذا الصدع يتلوه رَأباً، وهناك كثير من الشواهد تدل على أسلوب أحمد أمين اللغوي البلاغي، من ذلك ما ورد في (الجزء التاسع) من فيض الخاطر تحت عنوان: (عيسى وعيسى)[10]، خاطرة تناول فيها الكاتب واقع العرب المسلمين إبان الحروب الصليبية، وذكر بعضا من أبطال هذه الحروب، فهو يسرد خاطرته التي تشكلت على أثر قصة كانت بطلها شخصين كليهما يلقب (بعيسى) آثر الدهر على نسيانهما منذ ذلك الدهر، فتذكرهما أحمد أمين يستقي منهما مناقبهما واعضا، فكان أسلوبه واضحا بليغا؛ فكانت تتميز بالعمق الفكري والروحي، وسلاسة اللغة والأسلوب، حيث استخدم الصور

البلاغية المختلفة مثل: الاستعارة والتشبيه والمجاز، ويقول في أحد المواضع: فكم عيسى وعيسى منح شهرة واسعة ورزقا واسعا، وعيسى وعيسى والفتى الدمشقي الذي أحرق الأبراج....إلخ[9]، وتتجلى هنا مهمة الكاتب، بوصفه القادر على تحويل اللغة العادية إلى لغة مشدودة عتيدة الدلالة، فالأدب ليس دينا زائفا أو علم نفس أو اجتماع، بل هو نظام محدود اللغة، إن له قوانينه، وصفاته النوعية الخاصة التي يسعى دارسيها في ذاتها وليس في ردها إلى شيء آخر[11].

لا شك أن التطور الفني في جانب البلاغة والأسلوب يعد من أبرز العناصر التي تميز الإبداع الأدبي، فهو الجانب الذي يعني بتصوير المعاني الإبداعية الجديدة بأسلوب يضفي عليها طابعا مميزا "فالصورة المجازية تحل محل مجموعة من التعبيرات الحرفية، فهي لا تقود المتلقي إلى الهدف مباشرة كما تنقل التعبيرات الحرفية بل ينحرف عنه، فهي تسلط الضوء على جانب واحد من المعنى وتخفي جوانب أخرى[12]. ومن هنا تحققت الثيمة الأدبية المميزة في لغة أحمد أمين الأدبية البلاغية من خلال سهولة الأسلوب ووضوحه، إضافة إلى اعتماده على خاصية من خصائص الخيال الفني حيث تتحول اللغة عنده إلى رحلة معرفية مثيرة.

ثانيا: الأثر الموسيقي (التعبيري) في فيض الخاطر

تميز الكاتب في فيض الخاطر بطابعه العاطفي الذي يضفي عليه قدرة خاصة على التأثير في المتلقي، إذ يحافظ على يقظته واستثارته في آن معا، ومن أجل ذلك فإن أمين عادة ما يحتاج إلى الإيقاع الجميل الذي من شأنه أن يعزز تلك العلاقة بين (المبدع والقارئ)، ولهذا فإن أحمد أمين لم يستغن في أغلب خواطره عن هذه السمة التي تكون بارزة لديه، ولذلك فإن التوازن الموسيقى عند أحمد أمين لا يقع حيال اللفظ أو الجملة، بل أن الخاطرة تمتد بوصفها كلا متكاملا، لا سيما عندما يتناول حالة من حالات المجتمع[13]، وقد نجد هذا واضحا من خلال قراءتنا لبعض الخواطر في فيض الخاطرة أذكر منها:

1- الشيطان رجل الساعة.
2- يضحك ناس ويبكي آخرون.
3- الدنيا حر[10].

وعندما نتحدث عن الأثر الموسيقى في النص، فأننا لا نعني بذلك الأثر الناتج عن الأوزان الشعرية التقليدية في الشعر العمودي، أو في شعر التفعيلة، بل نقصد الموسيقى الداخلية للتعبير الأدبي باعتبار الخاطرة شكل من أشكال التعبير الأدبي الحديث، الذي يعتمد على تناغم الألفاظ، وتفاعل الصور والأساليب، وبهذا نخلص إلى ما نصت عليه المقولة: أن الأدب فن جميل غايته تبليغ الناس رسالة ما في الحياة والوجود بواسطة الكلام فالأدب هو الذي يؤدي هذه الرسالة فكل ما ينتجه فن الأدب الصحيح في أية لغة من لغات لا غاية له غير هذه الغاية، وكل أدب يكتب في أي باب من الأبواب إنما يريد بلوغها كلها أو بلوغ جانب منها [14].

ثالثا: توظيف الشعر في الخاطرة

لجأ أحمد أمين إلى توظيف الصور الشعرية في خواطره, فاستفاد من طاقتها التخييلية والجمالية، وما تمنحه من قدرة على الوصف والإيجاز ورصد أدق التفاصيل، ورغم أن الصورة تعد في أصلها تقنية شعرية، فأن النثر قد أفاد منها أيضا. لذا نجد خواطر أمين وقر الشعر سطورها النثرية؛ لتعطي النص الخاطري خصائص أدبية ظاهرة تتيح له، أو تميزه عن باقي الأجناس الأدبية الأخرى. وحملت خواطر أحمد أمين الكثير من اللوحات الفنية التي تزخر بالصور الشعرية من تشبيهات وكنايات وألوان تصويرية متنوعة، حتى يتبن أنه يوظّف أدواته الشعرية مستلهماً من نتاج معاصريه أو من تراث العصور السابقة، ليخدم بها خواطره. وهكذا زيّن نصوصه النثرية بتلك الصور، مضيفاً عنصراً جديداً يقرب الخاطرة من الشعر.من ذلك قوله في خاطرة (الثقافة الأدبية والثقافة العلمية) بما يحمل من نفس المرشد الواعظ: وإذا كثر العلماء بحق رأينا ذلك يتبعه لا محالة نهضة قوية في الصناعات والاختراعات، بل أظن أن ذلك يتبعه أيضًا رقي في الأخلاق، فالمتأدب أقدر من العالم على تسامحه في الأخلاق، لأنه أقدر على التأويل، ومصيبة الناس عادة في المتأولين، كما قال البوصيري في إحدى قصائده: وما أخشى على أموال مصر*** سوى من معشر يتأولونا[10].

استعمل أحمد أمين السلطة التراثية الدينية والأدبية باستشهاد بيت البوصيري، لإضفاء قوة لذلك الوعظ الذي يوافق عنوان خاطرته ومتنها. فربط نصه النثري ببيت شعر فيه دعوة عملية تروم لمنفعة الناس بأسلوب إقناع بأن العلم يقود إلى النهضة، والنهضة الحقيقية لابد أن ترتبط بالخلق الرفيع. ومن الخواطر الأخرى التي منح فيها **أمين** الشعر أن يتدخل ضمن نصه النثري ما جاء في خاطرة الشيطان رجل الساعة وليس عصرنا هذا ببدع، فالعالم دائمًا تتنازعه هاتان القوتان وتغلب فيه قوة الشر، وقد كتب بديع الزمان الهمذاني رسالة لطيفة أبان فيها أن الناس من عهد آدم كانوا أشرارًا حتى نسبوا إليه أنه قال: تغيرت البلاد ومن عليها*** فوجه الأرض مغبر قبيح [10].

يستحضر **أحمد أمين** رسالة بديع الزمان الهمذاني بوصفها مرجعا أدبيا له قيمة، بتوظيفه البيت الشعري المنسوب إلى سيدنا أدم عليه السلام ببيان الصراع البشري. وهذا المشهد التراثي الذي اختاره أحمد أمين يوضح المعنى ويقربه إلى الأذهان بأسلوب يجمع بين الإقناع والجمال.

المبحث الثاني

البعد الفكري والنفسي في فيض الخاطر

عندما نتحدث عن الخاطرة فإننا يجب أن لا ننسى أثر التطورات الحديثة التي أثرت على الأدب بشكل عام، وعلى النثر بشكل خاص فلم تعد الأعمال الأدبية تقاس بمستواها الشكلي فقط وإنما أصبح تقييمها على أساس ما تقدمه من وعي معرفي يجعل القارئ مشدودا لمواضيعها، فالأدب الحديث والمعاصر جاء ليحل مشكلات الواقع، ودائما ما يشعر الأديب أنه جزءا من هذه المشكلات،وجزءا من الحل، فالنص غدا لا يعرف غير نفسه ويحاول جاهدا أن يجد حلا لكل ما أثقل الواقع منهم[14]، والنقد كذلك صار نوعا من المعرفة جاءنا حافلا بالوصول، والنظريات والقواعد والمناهج الجديدة المتطورة، وكان في تطور مستمر يوما بعد يوم عن طريق الممارسة والتنظير، ونتيجة التفاعل والتأثير والأخذ من مختلف العلوم والمعارف الإنسانية ومنها علم النفس وعلم الاجتماع والتاريخ وغيرها[15].

1-البعد الفكري:

اعتمد أحمد أمين على آليات فنية متعددة في بناء نصوصه الخاطريّة، فجعلها أكثر انسجاماً وترابطاً، وأوجد من خلالها جواً سلساً يتيح الانتقال بين السطور. ولم يكن توظيف هذه الآليات بشكل غير منظم، بل جاء منسجماً مع بنية النص، فتارةً يرد في صورة إجابة عن سؤال، وأخرى في صيغة تعريف بالعنوان، أو عبر تقنية محكمة لصناعة النهاية. ويمكن تحديد أبرز **آليات التماسك الفكري والتداخل** في نص الخاطرة على النحو التالي:

- **تقنية السؤال والجواب:**

ظهرت آلية السؤال والجواب مراراً في خواطر أحمد أمين، فكانت وسيلة تساعده على صوغ النص النثري في إطار فكري استفهامي يطرحه داخل الخاطرة. ويأتي السؤال محمّلاً بطابع استدراجي أو توجيهي، قد يتسم بالعموم والانفتاح، أو يتخذ منحى ذاتياً بصبغة جماعية. ولأن السؤال يستدعي بالضرورة جواباً أو رداً، فقد غدا العنصران متلازمين على نحو منطقي مألوف كما يتبين في بعض الأمثلة. ففي خاطرة (الإسلام والمسلمون) كان **أحمد أمين** يعرض حال الإسلام، وحياة المسلمين. حيث سلط الضوء على عنصر **(التوحيد)** بوصفه العنصر الأهم في الإسلام. حين قال: لننظر قليلًا في أهم عنصر من عناصر الإسلام، وهو التوحيد الذي تبلور في قولنا: «لا إله إلا الله» فهل سار المسلمون عمليًا واقتصاديًا على هذا المبدأ، وإلى أي حد؟ [10]. فالتوحيد هو الأساس الذي يقوم عليه الإسلام وركيزته الكبرى، ومراده إفراد الله بالعبادة وتنزيهه عن أي شرك في الألوهية أو الربوبية. فهذه الفقرة تولد تماسك جماعي بين الكاتب والمتلقي, بأسلوب تشويق القارئ واندماجه مع نص الخاطرة.

وفي خاطرة أخرى سماها **(أسباب انحطاط الثقافة عند المسلمين في القرون الوسطى)** نجد الكاتب يثير استفهامات بشكل جماعي فإن نحن تساءلنا: كيف ننهض بعد هذا الخمول؟ وفي موقع آخر من الخاطرة ذاتها يسأل: ماذا فعل الغربيون في هذه المسألة؟ ويقول أيضا: ماذا يجبأن يحكم به العقل ويشرع في هذه المسألة؟[10]. يستدعي الكاتب تجربة المعتزلة بوصفها نموذجاً عقلياً لنهضة المسلمين من خمولهم الفكري، عبر تشخيص الداء والبحث عن الدواء بوعي ذاتي مستقل، بعيداً عن تقليد الغرب، وذلك بالاعتماد على تراثهم واجتهادهم الذاتي. يمثّل هذا النمط من الكتابة استجابة موضوعية لمقتضيات الخاطرة، إذ يسعى إلى معالجة تساؤلاتها الجوهرية، الأمر الذي أتاح إدراجها ضمن مسوغات أدبية قائمة على توظيف تقنيات كافية لبناء النص.

- **التقنية التعريفية في نص الخاطرة:**

يعتمد أحمد أمين في بعض خواطره أسلوب المدخل التفسيري، إذ يقدّم في مستهل النص توضيحاً لعنوان الخاطرة، فيحوّله من مجرد تسمية خارجية إلى مفتاح دلالي يكشف عن مقاصد النص، يقدم شرحا يترجم دلالات العنوان ويكشف عن مقاصده، ويوجّه القارئ إلى فضاءاته الفكرية والجمالية. مثال ذلك ما وضحه **أحمد أمين** عن استعمالات الإحسان في الخاطرة **(تنظيم الإحسان)** حيث يقول: استعملت كلمة الإحسان في معان كثيرة، فاستعملت بمعنى الإتقان مثل قوله تعالى: (وَمَنْ أحسَنُ قَوْلًا مَمَن دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحًا)[10]. تحمل هذه اللمحة الحوارية وظيفة تعريفية، إذ تكشف الخاطرة عن دلالة العنوان وتوضّحه في مقدمتها، حتى لا تُفوّت على القارئ متعة الاكتشاف والتفاعل مع النص منذ اللحظة الأولى. حيث يبدأ بتعريف الإحسان، ويبين أنه يحمل معان عدة (كالإتقان،

والقول، والعمل)، ليفتح بذلك المجال أمام القارئ لتلقي الخاطرة باعتبارها نقاشا متفرعا من أصل واحد. لجأ **أحمد أمين** في خاطرة **(الثقافة الأدبية والثقافة العلمية)** إلى أسلوب التعريف بالثقافة قائلا: نعني بالثقافة الأدبية المعنى الواسع الذي استعمل فيه كلمة كلية الآداب، إذ تشمل الدراسة الأدبية من شعر ونثر والجغرافيا والتاريخ والفلسفة وآداب اللغات، كما نعني بالثقافة العلمية المعنى الذي استعملت فيه كلمة كلية العلوم من طبيعة وكيمياء ورياضة وجيولوجيا ونحوها[10]. نجد أحمد أمين يمهد للقارئ بمقدمته توضيحا لحدود الثقافة، واختياره (كلية الآداب، وكلية العلوم) كمرجع لترجمة الثقافة يكشف عن رؤيته التربوية، بالإضافة إلى رفع الالتباس وتوضيح الحدود بين المفاهيم.

- تقنية صناعة النهاية:

أحد التقنيات التي تجلت في كتابة الخاطرة **لأحمد أمين** إتقانه لصناعة النهايات، إذ نجده أحياناً يربط ختام النص بعنوانه، وأحياناً أخرى يوظف مقولة لأحد الصالحين أو الكُتّاب، كما قد يختار أن يختم بأسلوب تشويقي يترك القارئ في انتظار خاطرة جديدة أو ما سماها أحمد أمين بفرصة أخرى تليها. وقد تنطوي هذه الفقرة على خلاصة لفكرة الخاطرة أو على حكمة مستوحاة من الواقع، تسهم في إضاءة أبعاد جديدة تدفع المتلقي إلى إعادة النظر في أحداث الخاطرة ودلالاتها. من أمثلة ذلك ما نراه في خاطرته **(الجاحظ البطل)** تلك المفارقة بين البطل الحقيقي والبطل الزائف يقول فيها: ألا ترى معي أنه بذلك يعد بطلًا من أكبر الأبطال؟ أليس ظلمًا أن يعد من يميت النفوس ويزهق الأرواح ويخرب البلاد بطلًا، وأن نقدر بطولته كلما أمعن في القتل والسلب والنهب والتخريب، ثم لم نعد بطلًا من أحيى النفوس الميتة بدل أن يميت النفوس الحية، ويغذي العقول بدل إتلافها؟! ما أظلم الناس للناس![10].

يشير عنوان الخاطرة إلى رمز البطولة في مجال العلم والأدب، فهو ليس مجرد تسمية عابرة، بل علامة فكرية تطرح السؤال الجوهري: من هو البطل؟ ويأتي الختام بعبارة ما أظلم الناس ليعمّق الفكرة ويربطها مجدداً بالعنوان، حيث يكشف أن المجتمع هو من شوّه مفهوم البطولة حين جعل القتل والتخريب مجداً خالداً، وأغفل قيمة من يهب الحياة وينشر العلم. وبذلك تُعيد النهاية القارئ إلى جوهر العنوان، مضيفة إليه بعداً نقدياً ذا طابع اجتماعي. وفي خاطرة **(سنن الله في الأمم)** يقول: هذان قانونان من قوانين التي سنها الله لحياة الأمم وفنائها، وهناك قوانين أخرى نتحدث عنها في فرصة أخرى إن شاء الله[10]. يبين هنا أن قوانين الأمم ليست عشوائية، بل تخضع لقوانين وسنن إلهية ثابتة. وينهي أحمد أمين هذه الخاطرة بأسلوب تشويقي يترك مداه مفتوحا على لقاء قادم.

2-البعد النفسي:

عندما نستعرض بعض نماذج الخواطر لأحمد أمين نجد الأثر المعرفي ظاهرا وبشدة، وإن كان لا يخلو من الذاتية المفرطة ولا من الرؤية الأحادية التي تحظى بالتمثيل الشامل وهذا هو ديدن الخاطرة في عمومها فهو في الخاطرة (يضحك ناس ويبكي آخرون)[10]' يتحدث عن الخير والشر ويقسم الناس إلى أخيار وأشرار بشكل عام ويجعل كل منهما قابلا للتحول وحسب رواية الناس[15]، ويجعل هاتين الصفتين قابلتين للتحول حسب رؤية المجتمعات وتوجهاتها، حسب تصرفاتهم فقد يغدو الشر خيرا حسب القدرات المعرفية والعقلية لكل إنسان انطلاقا من مقولة: (مصائب قوم عند قوم فوائد)، ومرد هذا إلى طبيعة الحياة ذاتها وهما من يحققان التوازن في هذه الحياة فلولا الخير لما كان الشر موجودا أصلا وإن حقيقة هذا الشيء تنفي ما عداه.

كذلك في خاطرة الدنيا حر![10]، إذ يستدعي الطاقة النفسية بوصفه كائنا بشريا يستطيع أن يخادع الموجود الفعلي، ويتحول متخيلا تقبل الواقع من أجل مواصلة هذه الحياة، فإن الإنسان بطبيعته وقدرته قادرا على تحويل ما هو سلبي إلى ما هو إيجابي عن طريق قدرة التخيل، و في هذه الخاطرة يستدرج أحمد أمين كل ما لديه من معارف بأنواع الأماكن الجغرافية تبعاً لأحوالها المختلفة من برد وحر من أجل استخلاص عبره وموعظته مفادها: إننا لابد أن نتعامل مع واقعنا بوصفه قدرا نستطيع أن نتقبله ونتعايش معه.

وما ورد في خاطرة(أحلام الشيوخ)[10]، لا يخرج عن خصائص الخاطرة الأساسية من حيث السخرية؛ إذ يطرح الكاتب أفكارا ظاهرها التهكم، وباطنها التأمل، فعرضه مهاداة، وترضية ما نستنبطه من أحلام الشباب، وقد يثير العنوان تساؤل القارئ: هل يمكن حقا هناك أحلام تخص الشيوخ؟ وهل هناك شيوخ تحلم فعلا؟ فهنا يقدم أحمد أمين رؤية دقيقة للأمل في لوحه ذاتية مفرطة مفعمة بالتطلعات مفادها أن الإنسان لا يستطيع أن يواصل حياته دون أمل مهما كان عمره، ولا يمكن أن يكون هناك خطابا وإن كان أدبيا يحث للكهولة على فقدان الأمل.

من هنا نستطيع أن ندرك أن فكر أحمد أمين قابل للتأمل والتفكير العميق في الحياة والوجود، وموضوعاته تتناسب فكريا مع واقع بات يعيشه، وقد استطاع بقراءته الفكرية أن يطوع الموضوعات معرفيا تطويعا فلسفيا ينتج عنها معارف حديثة فقد يعتبر البعد العاطفي والنفسي من أهم العناصر التي تميز بها (فيض الخاطر) وجاءت لتجعله من أهم الأعمال الأدبية في النثر العربي الحديث، فقد يؤثر البعد العاطفي والمعرفي في الكاتب بشكل كبير حيث يجعله لا يغيب عن القراءة[8].

فالعمل الأدبي ليس جملة أفكار أو انعكاس للواقع المادي ولا هو تجسيد لحقيقة متعالية؛ بل أن للواقع ماديته، وهو تحليل لوظيفة كما يمكن للمرء أن يفحص آلة[11]، فالواقع مؤلف من كلمات ولهذا نجد أن الخاطرة ترتبط بحساسية الكاتب ومدى تأثره بشؤون حياة الناس، وهو من أجل هذا الجانب لابد أن يتصف بالذكاء ورهافة الحس وعدم الرضا عن الواقع ممزوجا بشيء من القلق وروح النقمة، وقدرته على السخرية والتحكم[16].

و يرتبط الأدب ارتباطا وثيقا بالمجتمع "فالمجتمع مصدر الأعمال الأدبية فالأدب ليس نتاجا فرديا بل هو فن الإنتاج الجماعي فالعلاقة بين الأدب والمجتمع علاقة تأثير وتأثر[17]، ومن هنا نجد تفاعل كبير بينهما في الساحة النقدية، وفسحة المجال للتأثير والتفاعل المشهود بين النص الأدبي، والمجتمع، هذا وله الأثر في ولادة نتاجات أدبية جديدة، وحديثة تبعا لتحولات الحياة وتغير مراحلها.

الخاتمة

إن التطرق إلى نوع أدبي نثري حديث كـ الخاطرة يُعد نوعًا من المجازفة، لا سيّما في ظل محدودية الدراسات النقدية التي تناولته، إذ لا تكفي ورقة بحثية واحدة للإحاطة بهذا الفن الطازج، الذي لا يزال يشق طريقه ضمن خارطة الأجناس الأدبية، ويُعد هذا النقص في التأصيل النقدي دليلًا على أن هذا الحقل لا يزال بِكرًا، وأن التجربة الكتابية فيه ما زالت في مراحلها الأولى. من هنا، تبرز أهمية العودة إلى تجربة أحمد أمين في كتابه فيض الخاطر، إذ أولى هذا النوع الأدبي اهتمامًا خاصًا، وغاص فيه غوصًا ذاتيًا مكثفًا. ولعل هذا المنحى الذاتي ليس ضعفًا، بل يمثل أحد الوجوه المعرفية للأدب، إذ يفتح الأفق نحو أسرار لا تدركها المناهج العلمية. وقد جاءت خواطر فيض الخاطر في أنماط متعددة، غلب عليها الطابع التأملي، واتسمت بثراء معرفي ملحوظ؛ كما تميّز أحمد أمين بأسلوبه الأدبي البليغ، الذي منح لغته بُعدًا تعبيريًّا عميقًا، فغدت الخاطرة عنده أداةً لاستكشاف المعرفة، وتجربةً لغوية تتجاوز التعبير السطحي إلى فضاءات من التطلعات الفكرية والنفسية.

المصادر

[1] د. عبدالكريم بن عبدالله العبدكريم. (2020). التناص الأجناسي في فيض الخاطر لأحمد أمين (ت1373هـ)" دراسة لأبرز الظواهر والتأثيرات الجمالية ."مجلة العلوم العربية، (12).
[2] المدرس المساعد إسراء أبو ضاري شنان. (2024). أدبُ المقالةِ عند أحمد أمين في كتابهِ (فيض الخاطر). مجلّة القادسية في الآداب والعلوم التربوية, 24(2/ج=(1)), 466-484.
[3] الزركلي، خير الدين(1986)، معجم الأعلام، دار الملايين، ط1، بيروت، لبنان.
[4] حسني محمود، وإبراهيم أبو هشهش(1995)، فنون النثر العربي الحديث، منشورات جامعة القدس المفتوحة، ط1، الأردن.
[5] أبو زيد، سامي يوسف(2015)، الأدب العربي الحديث(النثر)، دار المسيرة، ط1، الأردن.
[6] ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم(2003)، لسان العرب، دار صادر، القاهرة.
[7] لحمداني، حميد(2015)، القصة القصيرة في العالم العربي ظواهر بنائية ودلالية، مطبعة إنفو برانت، ط1، المغرب.
[8] موافي، عثمان(1992)، في نظرية الأدب(من قضايا الشعر والنثر في النقد العربي القديم والحديث)، دار المعرفة الجامعية، ط1،الأسكندرية.
[9] اسماعيل، عز الدين(2013)، الأدب وفنونه (دراسة ونقد)، دار الفكر العربي، ط1،القاهرة.
[10] زين الدين، وجدي(2018)، بين الأدب، والصحافة (اتجاهات النقد في الصحافة الأدبية المصرية بين الفترة 1952_1967)، مكتبة جزيرة الورد، القاهرة .
[11] أمين، أحمد، (1958)، فيض الخاطر، مكتبة النهضة المصرية، ط 4، القاهرة .
[12] إيغلتون، تيري(1995)، نظرية الأدب، ترجمة، ثائر الديب، منشورات وزارة الثقافة السورية، ط1،دمشق.
[13] عصفور، جابر(1992)، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب ، المركز الثقافي العربي ، ط3، المغرب .
[14] ترمانيني، خلود(2013)، الإيقاع اللغوي في الشعر العربي الحديث، مجلة كلية الآداب واللغات، جامعة طنجة، ع/3، م/12 المغرب.
[15] هيكل، محمد حسين(2012)، ثورة الأدب، مؤسسة هنداوي، القاهرة.
[16] فائق مصطفى، وعبد الرضا علي (1981)، في النقد الأدبي الحديث(منطلقات وتطبيقات)، دار الكتب للطباعة والنشر، ط1،، الموصل.
[17] لخويا، سمير(2016)، طرق الدراسة والسوسيولوجيا للأدب(النقد السوسيولوجي)، دار الكتاب العربي، تونس.